

اهداف الابحاث الاسلامية و مناهجها

للبروفيسور قدرة الله الفاطمي

في الآونة الأخيرة قام وفد رابطة العالم الاسلامي بزيارة رسمية لباكستان و قد اقام معهد الدراسات الاسلامية ندوة علمية في مدينة راولپندي عاصمة باكستان الموقته و ألقى فيها الأستاذ قدرة الله الفاطمي كلمة أوضح فيه أغراض و أهداف المعهد. و فيما يلي نص الكلمة.

أن أعز ما يحتوي عليه الدستور الباكستاني هو أهداف الابحاث الاسلامية و مراميها و مناهجها و اسلوبها و يشمل ذلك التعليمات لارشاد القائمين بها - و يطيب لي ان اذكر هنا المواد الخاصة بالابحاث الاسلامية في دستور الجمهورية الاسلامية الباكستانية و ان أقوم بتوضيح بعض النقاط البارزة منها.

المادة ٢٠٧ من دستورنا ينص :

”ستكون هناك مؤسسة تسمى معهد الابحاث الاسلامية و ستنشأ بأمر من رئيس الجمهورية.

و سيقوم هذا المعهد بالابحاث الاسلامية و تعليم الدين الاسلامي لاعادة بناء المجتمع الاسلامي على اساس التعاليم الاسلامية الحقيقية -“
و بهذا أصبح اعادة بناء المجتمع الاسلامي هدفا أساسيا للابحاث الاسلامية و ان مقدمة الدستور ليعدد و يفسر المبادئ و المثل التي ستكون أسا و بنيانا لاعادة البناء هذه - و ينص الدستور:

(ب) ان تنفذ في باكستان مبادئ الديمقراطية و الحرية و المساواة و العدالة الاجتماعية كما أوضحها الاسلام و ان يوجد جو يتمكن فيه الشعب الباكستاني من العمل بالتعاليم الاسلامية و متطلباتها في حياتهم الشخصية و الجماعية -

و ينص الباب الخاص بمبادئ السياسة الحكومية مع ما ينص على ”ان تقدم تسهيلات لمسلمي باكستان ليتمكنوا بواسطتها ادراك روح الحياة

ومعناها حسبا تقتضيه المبادئ الأساسية - "ومن هو أحق بتقديم هذه التسهيلات غير الابحاث الاسلامية؟

وقد صرح الدستور بوضوح في الباب الخاص بوضع القانون انه لن يكون هناك قانون يخالف الاسلام و أوامره فان الابحاث الاسلامية وحدها تستطيع ان تقر ما اذا كان قانون ما من قوانين البلاد مخالفا للاسلام او متمشيا معه . ان هذه المحتويات في دستورنا لمهي صورة صادقة للمثل التي يتطلع اليها ويتلهمف لها الملايين من مسلمي باكستان والحقيقة انها نهاية المطاف في كفاح تاريخ طويل مجيد قام به مسلمو شبه القارة لايجاد وطن لانفسهم يستطيعون فيه صياغة حياتهم حسبا يرضى ضميرهم -

اسمحوا لي ان اذكر حضراتكم ان الحروب الاولى في هذا الكفاح او الجهاد في سبيل الله وقعت في مساحة دائرية تبعد اقل من مائة ميل من هذا المكان الذي نجتمع فيه - ان الاشتباكات والحروب التي دارت رحاها في اكورا وحضرو و هند و بنجر و شنكياري و زيدا و ترييلا و امب و مردان و بالاكوت لمهي معالم مضيئة لماعة في تاريخ الكفاح لباكستان او جهاد مسلمي شبه القارة لا عادة بناء مجتمعهم على أسس اسلامية حقيقية -

انه من غرائب الصدف ان الذين ارادوا ان يستخفوا بهم لقبوا المساهمين و المشتركين في هذا الجهاد بالوهابيين - و يستطيع السيد احمد الشهيد رحه زعيمهم و امامهم الكبير ان ينشد مثل ما أنشده عمران بن رضوان -

ان كان تابع احمد متوهبا فانا المقر باننى وهابي
ننى الشريك فليس لى رب سوى المتفرد الوهاب

ان الماثلة بين الاهداف و المرامي و المناهج و الطرق التي اتبعها شيخ الاسلام محمد بن الوهاب و السيد احمد الشهيد و قيام الاخير بجهاده عقب عودته مباشرة من رحلة طويلة دامت سنة كاملة في مكة المكرمة ادى اثناءها فريضة الحج تؤكد ما يعتقدونه الناس عامة بأن دعوة شيخ الاسلام محمد عبد الوهاب رحمه الله أوحت الى السيد الشهيد رحمه الله ما أوحت و بغض النظر عن النزاع العلمى حول هذا الموضوع فانه لامراء فيه ان هذه

الدعوة او الحركة الوهابية على حد اللقب الذي اكتسبها كانت اول خفقة انبأت عن الحياة في الاسلام الحديث على حد قول الشاعر الحكيم الباكستاني محمد اقبال رحمه الله - وقد اضاف رحمه الله فقال ان جميع الحركات التي ظهرت في آسيا و افريقيا المسلمة فيما بعد انما استوحت و استلهمت مباشرة او بصورة غير مباشرة هذه الدعوة و يصرح محمد اقبال ان ما يسترعى الانتباه اكثر من اى شىء آخر هو روح الحرية التي امتازت بها هذه الدعوة و ان شيخ الاسلام رفض مثل الامام ابن تيمية رح ان يقبل النظرية القائلة بان المذاهب الاربعة كاملة (بحيث انها تغنى عن الرجوع الى القرآن) و رجع بفكره الى العهد النبوى ليبدأ من جديد -

و الحقيقة ان روح الحرية التي ينوه بها اقبال لى العنصر الذى لا بد منه لائى مشروع للابحاث سواء كانت اسلامية او غيرها - اما ما يخص الاسلام فان الابحاث فيها لها مستلزمات اكثر و انى اعتقد انه لم يفق شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رح أحد آخر - فى وصفه لهذه المستلزمات التي لخصها فى الفقرة الاولى من رسالته الاصول الثلاثة و أدلتها -

اسمحوا لى ان اذكر هنا ما كتبه شيخ الاسلام بكامله فقد قال الشيخ .
اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل . الاولى العلم و هو معرفة الله و معرفة نبيه و معرفة دين الاسلام بالادلة - الثانية العمل به - الثالثة الدعوة اليه - الرابعة الصبر على الاذى فيه و الدليل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم و العصر ان الانسان لى خسر الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر - قال الشافعى رحمه الله لوما انزل الله حجة على خلقه الا هذه السورة لكفتمهم و قال البخارى رحمه الله فى باب العلم قبل القول و العمل و الدليل قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله و استغفر لذنبك فبدأ بالعلم قبل القول و العمل .

و ان أهم ما يسترعى انتباه باحث مثلى فى ما كتبه الشيخ هو اصراره على "العلم بالادلة" و فقرته الصغيرة التي نقلتها آنفا لى خيراً نموذج لسائر كتابات الشيخ الذى لا يدعى بدعوى الا و يعقبها بدليل او مثال لذلك ان روح الاستدلال هذه و الاعتقاد على المستندات لى هو المفتاح لكل

بحث علمي و الامر الثاني الذي يستحق الانتباه عندى في هذه الفقرة هو وضع الشيخ العلم قبل القول او الاقرار بالعقيدة والعمل بالشرعية وقد نقلت عن اقبال أنفا قوله ان أهم ميزة امتازت بها هذه الحركة هي روح الحرية - واتباعا لمنهاج شيخ الاسلام أتبع كلامى هذا بدليل على هذه النظرية وهو أنه يوجد مجموعة قيمة لرسائل طبعت ونشرت قبل اربعين عاما بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الراحل بمطبعة المنار باشراف و اعداد الشيخ رشيد رضا رحمه الله ويتضمن الرسالة الثالثة و هي من وضع الامام عبد الله بن شيخ الاسلام الكلام الآتى :

”لا ننكر على من قلد احد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير و يعقب الشيخ الفاضل جامع هذه الرسائل السيد رشيد رضا رحمه الله على هذا الكلام بما يلي في الحاشية.“

”والظاهر ان صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه و لو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون و كذلك الامامية و ان الفرق بينه و بين فقه الاربعة قليل قلماً قال احد مجتهديه قولاً انفرد به وخالف الاجتماع قبله و كيف و هم يحتجون بالاجاع و بعمل السلف و كذا باحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة . و قد كان مشايخنا يقولون كما قال مشائخ نجد أن سبب حصر التقليد في فقه الاربعة دون سائر مجتهدى الامة هو تدوين مناهجهم دون غيرها . و هذا غلط سببه عدم الاطلاع -“

و يتبين من هذا ان الشيخ الفاضل جامع الرسائل انكر ما كان يعتقد امامه شيخ الاسلام نفسه و آخرون من مشائخه الكرام في مسألة مهمة وهي تدوين الفقه الخاص بغير أهل السنة و ان روح الحرية هذه و الجرأة الادبية و الاذعان للحقائق و وضع الحق فوق الحكم و اتباع اسلوب الانتقاد لهي المستلزمات للابحاث الاسلامية -